الرامني بجزيرة صوماترة وقالوا ان ملك الراتج يدعى مهراج والمظنون ان جزيرة مالة التي ذكرها الادريسي هي شبه جزيرة ملقا والحق انهم عنَوا باسم لامري جزيرة صوماترة بحيث ان حاصلاتها المذكورة في كتبهم هي ذات حاصلاتها الحالية كالكافور والبقم والذهب والعاج. وظلَّ اسم لامري او يمة مطلقًا عليها حتى زمن مركوبولو ومن قبل الشهيرين انما من قبل ذكر جزيرة لامري وقال انها مجاورة لجزيرة أخرى تدعى صوماباراو صوماترة وخطَّ الجغرافي ريبيرو على خريطته مملكة لامري في قلب صوماترة وذكر مركوبولو مملكة فنفور المشهورة باجود الكافور وهي واقعة بجزيرة صوماترة ايضًا انما العرب اطلقوا اسم فنفور تارةً على مدينة وطورًا على جزيرة شهيرة بالعود والعنبر مجاورة لجاوة وذكروا غناء جاوه (جافا) بالافاويه والطيوب وجبالها النارية الهائجة وذكروا عدَّة جزر اخرى الى شرقها حاكوا لها نسجًا من الخرافات لا يصحُّ تفصيلها على جسم الحقيقة

ومما يدلُّ على ميل العرب للاستعمار وجود سلالتهم في هذه الاقطار وقد صادف البورتغيز تجارًا من سلالة عربية وشعائر اسلامية في جزائر الملوك وفيليبين ومندناو

هذا ما اقتضبته في هذه المقالة آملًا ان سنحت الفرصة التوسع في هذا الموضوع الشائق لأظهر ان العرب ولئن ما بلغوا شأوًا بعيدًا في علمي الجغرافية والهيئة فقد قطفوا منهما المستطاع جناهُ في عصرهم وادركوا اراءه في علم الهيئة غدت محورًا للافكار الحديثة

العادة ونتائجها

بقلم جبرائيل ضومط استاذ الفلسفة والرياضيات في مدرسة كنتين

(تابع ما قبله)

ما ينبغي الاعتياد عليه

اولًا الترتيب والتوقيت وهما اذا بدئ بهما في اوائل العمر بل في المهد كان لهما من حسن الأثر في اخلاق الطفل الادبيَّة فيما يأتي من حياته الشيء الكثير فان ارضاع الطفل كلما بكى وابقاءهُ في الحضن خوفًا من صراخه وعويله اذا وُضع في السرير لمَّا يربي فيه الانقياد لداعي الشهوة والميل الى الملذات والانغماس فيها اطاعةً لباعث الهوى في ايام شبابه وكهولته. ومن

الغريب ان الطفل سريع التكوُّف جدًّا لما يعرض عليهِ من ترتيب عيشهِ وتوقيت غذائهِ ونومهِ والامهات تعرف ذلك حق المعرفة فان من عوَّدت ابنها ان ترضعهُ في اوقات معينة لا يبكي طلبًا للرضاع الاَّ اذا جاء ذلك الوقت المرقوت وكذا من عوَّدتهُ على النوم في اوقاتٍ معينة من اليوم او على وضع مخصوص منهُ فانهُ ينام اذا جاء الحين المرقوت وعلى الوضع المخصوص فمن اعتادت ان تهوِّم لابنها مثلاً قبل منامهِ لا ينام ما لم يهوِّم لهُ والاَّ بكى شديدًا وهكذا

يحكى عن احدى السيدات انها كانت تهوِّم لابنها البكر وهو بين يديها قبل ان ينام نصف النهار فاذ غفا على يديها او يدي المرضعة وضعتهُ في سريرهِ فتُصحِّ لها ان تزيلهُ عن عادتهِ هذه وكانت من ذوات العزم والحزم فعزمت على ذلك ولما جاء ميقات نومهِ ذات يوم وضعتهُ في سريرهِ وجلست من خلفهِ بحيث لا يراها فاخذ الولد يبكي شديدًا حتى كادت تثني عن عزمها اشفاقًا وحنوًّا لكنها تجلَّدت وما زال الولد يبكي الى ان اعياهُ البكاء فنام وفي اليوم الثاني فعلت بهِ كما فعلت بهِ يوم امسهِ فبكى لكن كانت نوبة البكاء اقصر من سالفتها وما زال كذلك بضع ايام يبكي كلما وُضع في سريرهِ من دون تهويم لكن النوبات كانت تتقاصر مدتها الى ان انقطعت اخيرًا وكان من بعد ذلك لا يُسمع لهُ صوت بكاء اصلاً

ولما كان الولد اصغر من ان يعقل او يتروَّى في امرهِ كان لنا ان نقول انهُ لم ينقطع عن البكاء بناء على سابق نظرٍ وحكمٍ منهُ بل كان ذلك لان مجهزاتهِ العصبيَّة تكيَّفت ثانيةً لما يوافق الحالة التي عرضت لهُ اخيرًا فلما حصل لها ذلك انقطع عن البكاء . وكان بعد ذلك من تلك الايام انها جرت مع من أتى لها بعد بكرها بدءًا على مثل ما جرت معهُ مؤخَّرًا

ومن المعلوم ايضًا ان الطفل وان يكن ابن بضعة اشهر اذا اعتاد ان ينام في فراش امهِ ويرضع منها كلما استفاق فبكى تكثر نوبات يقظتهِ ويشتد بهِ الفرم الى الرضاع فكأنما مجهزهُ ينطبع على حب ذلك بخلاف ما اذا نام في مهدهِ بعيدًا عنها وعن رائحة الحليب التي تكون بمثابة الباعث القريب لتنبيههِ الى طلب الرضاع فانهُ يعتاد اخيرًا الاَّ يرضع إلاَّ في احيانٍ موقونة ولا يستيقظ من منامهِ الاَّ اذا حانت تلك الاوقات

ثم اذا بلغ الولد من العمر ما يكون معهُ تأثير الترتيب والتوقيت على كل شيءٍ من الاخبار والعلم منهُ باحوال نفسهِ فلا تزال العادة التي اثرت من نفسهِ سابقًا مانعًا يمنعهُ عن غير شعورٍ منهُ من مشتهيات ورغائب استحبَّت في نفسهِ ما كان يستطيع مغالبتها وغلبتها لولا تلك العادة السابقة . واما المدرِّسون الذين عنوا بامر التهذيب فيعلمون هذا تمام العلم ويعلمون ايضًا ما ينتج رأسًا من الفائدة الادبية عن كل فرع من فروع الرياضة اذا كان للترتيب والتوقيت دخل فيها

واما الفائدة الاخرى وهي الفائدة البعيدة من هذه فقلَّ من يقدّرها حق قدرها او يعرف ما تؤثرهُ عن غير علم منا في تكوين مجموعاتنا العقلية والادبية و بالتالي في جميع ما يتعلق بافعالنا الاختيارية وانفعالاتنا الداخلية فمن يظن ان الالعاب البهلوانية تعود بالفائدة الادبية على من يتمرّنونها فتعوّدهم على الطاعة واتمام ما يطلب منهم حتى في اعمالهم واشغالهم العقلية الاَّ من رُزق تمييزًا وفكرةً نقادة من المعلمين وكبار المدرسين نعم ان الطاعة واتمام الواجبات يتوقفان كثيرًا على سموّ الاحساس الادبي الباعث عليها وما يؤمّله المطيع من النفع والخير بسبب ذلك الاَّ ان مجرّد هذا التصور لا يكفي فلا بدّ له من التمرّن البدني على الطاعة واتمام الواجب وهذا يحصل على اشدّهِ في مثل الالعاب التي ذكرناها وفي كل عمل للترتيب والتوقيت دخل فيهِ ولذلك فالتمرينات العسكرية اذا أُحسن تعليمها والتمرين عليها في المدارس كان لها من الفائدة والنفع شيء لا يظنهُ غير العارف الاَّ لغوًا ومضرّةً فانها فضلاً عما تروّض بهِ الجسم وتروّح الفكر لما يجدهُ التلميذ من اللذّة والانشراح بممارستهِ لها من الفائدة الادبيّة ما اقله ان بها يتعوّد التلميذ على الطاعة الى الطاعة واتمام المطلوب منهُ بداهةً . واما في الجند فانها فضلاً عن ذلك تبعث خاطر تعلّق كل فرد بالآخر ولزوم ذلك مع استقلال كل فردٍ في اعمالهِ وحركاتهِ الخاصّة وهذا الخاطر ينمو و يتكامل في اثناء هذه التمرينات ولا يشعر المتمرّن بشيء من ذلك فلا يعلم من امرهِ الاَّ ان هذا الخاطر موجود قائم في نفسهِ . وهذه التمرينات هي التي تجعل من المتمرّن جنديًا باسلاً محنّكًا لا يخاف الموت ولا يلوي الى الفرار بل لا يخطر لهُ هذا الخاطر في بال لما يجدهُ في نفسهِ من الشعور الخفي بتعلق افراد صنفهِ كل بالآخر وحصول القوّة والمنعة بسبب ذلك فاذا سمع امر قائدهِ بالتقدم لا يرى من نفسهِ الاَّ وجوب ذلك فيتقدّم ولو ان الموت امامهُ بخلاف من لم يتمرّن على ذلك فان خاطر الخوف يتغلب على خاطر الطاعة فينشُ فرار الجبان. وعليهِ نرى ان بعض افراد الامّة واكثرهم من اهل الحرَف والزرع واصحاب الصنائع يصيحون بعد التمرّن على التعليمات العسكريّة سنة او بعض سنة جنودًا باسلين لا يرون الاَّ اطاعة امر قوادهم ولو دون ذلك الموت الزؤام وهم في اوّل امرهم كانوا ربما يخافون من خيالاتهم وتلمع قاربهم اذا سمعوا صوت اطلاق البنادق وما ذلك الاَّ لانهم اثناء هذه التعليمات المرتبة الموقتة يتعودون على اطاعة اوامر القادة حتى تصبح طاعتهم هذه وامتثال الاوامر تجري بداهةً فيتقدّمون او يتأخرون وفق ما يؤمرون لا يتريّثون ريثما تجزم الارادة بذلك ولا يمتاجونها في ترتيب خطواتهم وتدبير حركاتهم وهذا ما تحقق امرهُ بعد واقعة كريمثلوت الشهيرة فان خيول الفرسان بعد ان قُتلت فرسانها تجمّعت من تلقاء نفسها على ما كانت اعتادتهُ تحت فرسانها عند سماعها صوت البوق . و يقرب من هذا ايضًا في

الادميين ما حكاهُ هيرودتوس عن السكيثيين انهم رجعوا بعد احدى غزواتهم فاذا العبيد الذين استخلفوهم قد فتنوا عليهم في غيابهم وعمدوا الى احد الحصون الحريزة فتحصنوا فيهِ وايّاهُ تحصّن حتى صار يتعذّر اخذهم عنوةً الاّ ان هؤلاء العبيد انهلعت قلوبهم على مرأى اسيادهم يرصعون الكرابيج والقشات فخانتهم عزائمهم واستسلموا من حصنهم صاغرين

الآن هنالك محذورًا يجب مجانبتهُ فانّ الاولاد اذا استمرّوا مقيدين على اوامر والديهم او معلميهم لا يتجاوزونها الى غيرها اصلاً ولا يبدون من تلقاء انفسهم فعلاً صاروا مرشحين الى العبودية فلا يحسنون بعدها تدبير انفسهم فيكون اذا انقطعت عنهم عناية الموكلين انهم يجنحون الى كل ما تبعثهم عليهِ الشهوة واعتساف شرّ السبيل ولذلك فالاولى ان يترك لهم مجالٌ للاستقلال بتدبير شؤونهم على القدر الذي يستطيعونهُ ولا يحصل لهم معهُ مضرّة وكلما تقدموا في السن يترك من تقييدهم ويُوسع لهم في دائرة استقلالهم وتدريب انفسهم بانفسهم حتى يكون تمام استقلالهم مع تمام بلوغهم

ومما يعود عليهِ ايضًا خاطر الواجب او المنبغي . ولعادة الترتيب والتوقيت دخل في قيام هذا الخاطر وهو يتولد في النفس والولد لا يستطيع على افرادهِ بالتصوّر فيعرف مع السرعة ما عليهِ اولاً لامهِ ومن ثمّ لابيهِ ومعلمهِ والاقربين اليهِ حتى اذا احسّ بواجبهِ لواجب الوجود تمثّل لهُ هذا الواجب دينًا . ثم ان اكثر ما يدعو الى تمكين هذا الخاطر في النفس انما هو ملاحظة الولد الاقربين اليهِ يقومون على واجباتهم لا يهملون شيئًا من المنبغي عليهم فان القدوة هنا افعل من التعليم ولسان العمل امضى وابلغ من لسان البلاغة والنطق وان من الوالدين ومن هم في مقامهم من المعلمين الاولى على جانب من الحكمة والرشد ليعلموا اولادهم ان في نفس مقاصّتهم اياهم اتباعًا للواجب واطاعةً للمنبغي عليهم اي انهم يقاصّونهم لا حبًا بقصاصهم ولا انتقامًا منهم وانما رغبةً في خيرهم وصلاحهم في المستقبل وان هذا واجب عليهم لا يرون مخالفتهُ وان شقّ عليهم ومنبغٍ لا يرون العدول عنهُ وان صعب على عاطفة حنوهم واشفاقهم فاذا احسن الوالد او المعلم تفهيم الولد هذا المعنى تمكّن من نفسهِ خاطر الواجب ورسخ في فطرتهِ صورة المنبغي وقام بنفسهِ خاطر آخر ايضًا يلوذ اليهِ في شبابهِ واواسط حياتهِ اذا اخذتهُ مخالفات الخطوب وهو خاطر التسليم للمشيئة الالهيّة عن رضى والاذعان لها عن طيبة خاطر فيما يلمّ بهِ من الملمات بقضاء الحق جلّ جلالهُ وهو احكم الوالدين واشفقهم وهنا ايضًا ينبغي الانتباه لئلاّ ينشأ الولد عبدًا يدفعهُ الواجب كما يدفع آلة ميكانيكية لا انسانًا مريدًا واسمى الواجب ان نتمثّل في سائر اعمالنا بالحق سبحانهُ وتعالى

وهنالك خاطر آخر ينشأ عن التمرّن في الواجب اذا احسن الوالدون والمعلمون التدبير والقدوة وهو خاطر الحق او العدالة فانّ الولد في تمرّنه على الواجب يرى عليه للوالدين حقوقًا ويرى هو له عليهم بعضها ايضًا فاذا كان له اخوة واحسن الوالدون التعليم كلامًا وتصرّفًا استحكم في نفس الولد خاطر الحق والعدالة ايضًا فانه اذا كان يرى عليه حقوقًا لاخوته يطلب منه الواجب تأديتها لهم وبالعكس فيكون اذن من المنبغي ان الحقوق تؤدى لمستحقيها وهذه هي العدالة

على انه لما كان الصغار ينظرون الى والديهم نظرة غير المساوي فيحسبونهم في غير مصافهم واعلى منهم رتبةً فواجبهم لذلك غير واجبهم وحقوقهم غير حقوقهم وينظرون الى اخوانهم نظرة المساوي كان المثال والقدوة من الاخوة افعل في تمكين خاطر الحق والعدالة في نفوسهم منها من الآباء وعليه فالانتباه الى تهذيب البكر في العائلة له من الاهمية اعظمها لانه يصير بمثابة مهذّب لاخوته فان قدوته ومثاله افعل فيهم في تعليم الطاعة والواجب والحق والعدالة من ابلغ عظات الواعظين وتعلم المعلمين والوالدين

وعلى الاساتذة بذل الجهد في تهذيب المتقدمين بين التلامذة على التوقيت والترتيب ومراعاة الواجب والحق فاذا تسنّى لهم ذلك فعل هذا فعل السحر في عقول بقيّة التلامذة عن آخرهم واصبح من شعائرهم تقديم الواجب على اللذة فلا يعود يخطر لهم خاطر اللعب الّا اذا قاموا بواجب دروسهم واتوا ما ينبغي عليهم ولا يحتاجون بعدها الى مخوّف من القصاص ولا الى مرغب في الجوائز واذا أُضيف الى هذا تحبيب المعلم او الوالد تلميذه او ابنه به بما يظهره له من الحب والفضل نشأ هذا رجلاً فاضلاً كاملاً يفخر به استاذه ويزدان به وطنه

وهنا اشير الى الاساتذة الكرام ان أدعى ما يكون لتحبيب تلامذتهم بهم انما يقوم بمراعاة اطباعهم واظهار الحبّ وارادة الخير لهم مضافًا الى ذلك حسن القدوة في الفضل والمثابرة على طلب العلم وتحريك ما بهم من العواطف الشريفة والمدارك السامية وتمرينها على افعالها الخاصّة بها فانّ التلميذ اذا انسَ من استاذه الحبّ مال اليه بالحبّ واذا احسّ منه بالفضل والاجتهاد وحسن المناقب تولّد له في نفسه الهيبة والاجلال واذا رأى منه الاقبال على تنبيه عواطفه الشريفة ومداركه السامية وتنبهت هذه تولّد في نفسه خاطر الطاعة والانقياد الثابتين فتصبح عندها ارادة استاذه له بمثابة شريعة مقدسة لا يرى مخالفتها بوجهٍ من الوجوه وتتغلّب فيه على الشهوة وتتقدّم على داعي اللذة

بقي هنالك شيء آخر ينبغي تعويد الولد عليه غير ما ذكرنا وهو حبّ الغير ومنشأه في المهد فان الحب الوالدي ينبّه فينا هذه العاطفة الشريفة واوّل ما تظهر في اقبال الولد على والدته

بالحب لما يرى منها من قيامها على تغذيته والمحافظة على وجوده ودواعي ملذته البدنية ثم منها الى الاب لقيامه على توفير ما تقوم به هذه المحافظة على وجوده من غذاء وكسوة ويحسن معها حالة من رغد العيش ورفاهيه. واذا عدا طور الصبوة الاوّل زاد حبه استمكانًا لما هذا لما يرى من استمرارها على ما كانا عليه من الاعتناء بامر طعامه وكسوته وتوفير اسباب لذاته واقراحه فاذا رأى قيامًا منها على تغذية نفسه ايضًا وتقوية مداركه العاقلة زاده ذلك بها تعلقًا وحبًّا على ما كان اولاً واعتناؤها الثاني به هو ما تتوثّق به عروة الحب والاتحاد بين الوالد والولد والّا لولاه لكان اذا نشط الولد وقوي على الحركة وتحصيل لوازم وجوده بنفسه ينقطع بينها هذا الرباط وتفتر دواعي هذا الحب فينساه بعد زمن كما تنسى صغار الحيوانات امهاتها اذا قويت على تحصيل غذائها فتنقطع عنها ولذلك فاعظم ما يمكّن عاطفة الحب الوالدي وبالتالي حب الغير هو اعتناء الوالدين بتهذيب ابنائهم واقبالهم على تحسين حياتهم العقلية والادبية وارشادهم في كل ما يأول الى رفاه عيشهم وصلاح امرهم وتقوية مداركهم فان الولد كذلك يرى من احسان والديه حتى بعد احتلامه ما يزيد في شدة تعلقه بها وحبها اضعاف ما كان يراه وهو في طور الصبوة فيزيد بذلك من حبه واحترامه لها ويرسخ كل ذلك في نفسه حتى ان اقل احسان او خير يسدى اليه يذكره باحسانها فتتحرّك فيه عاطفة الحب نحوها ولذلك فلا عجب اذا عقّ الولد والديه اذا هما اغفلا تهذيبه العقلي والادبي واساءا تربيته بعد اذ يبلغ طور الصبوة فانّ ما كان يراه من احسانها وهو قبل هذا الطور سريع الزوال والابتذال بما يعرض عليه من الاحوال بعد ذلك ولهذا نرى الكثيرين يشكون من عقوق بنيهم ويتأفّفون من تكرانهم الجميل عليهم وليس اللوم في ذلك على الابناء بل على الآباء لان علّة ذلك ليس الّا من عدم رعاية امرهم في التهذيب العقلي والادبي فأخرجوا بذلك عن الطور الانساني الى الطور الحيواني. فيا ايها الآباء الذين يحبون بنيهم ويرغبون في تحكيم عرى الارتباط والمحبة بحيث لا تزول من قلوبهم عليكم بتغذية العقول بلبن العلم بعد اذ لا تحتاج الاجساد الى لبن الامهات وتزيين النفوس بحلى الآداب كما تزينوا الاجساد بحلى الاثواب بل اذا غفلتم عن هذه فلا تغفلوا عن تلك واذا اعجزكم الزمان فلم تملك ايديكم ان توسعوا عليهم في الاموال فاحرصوا ان توسعوا عليهم في العلم فان ذلك خير ضمانة لكم على اقبالهم على اجلالكم واعزازكم وتعلق محبتهم وعواطفهم بكم الى ان تبلى الاجساد وتتصل النفوس بعالم الملا والخلود

على اني اعلم منكم ايها الوالدون ولا سيما الامهات انكم كثيرًا ما يدفعكم الحنوّ والحبّ الى اجابة ملتمس بنيكم سواء كان ملتمسهم نافعًا او ضارًا وتبالون في امرهم اذا سألوكم شيئًا ان تعطوا

من أن تمنعوا على حين تكون نتيجة العطاء تقوية شهواتهم واضعاف ارادتهم فاحذروا من هذا غاية الحذر واعطوهم اذا رأيتم في العطاء خيرًا وامنعوا عنهم كذلك اذا رأيتم ما يجعل امرهُ من المنع ولو بعد حين واذا اعطيتم او منعتم فعليكم ان تغرسوا في اذهانهم ان الداعي لكم الى الامرين انما هو مجرّد الحب وارادة الخير وصلاح الحال في المستقبل فاذا تمكن هذا الخاطر من بنيكم رأوا من بعدِ علامات الحب والحكمة في كل قول من اعمالكم وحركةٍ من حركاتكم فلا يعود يفتن شهواتهم العطاء او يرين على قلوبهم الاخذ كما لا يعود يغضبهم المنع او يولد نحوكم الكراهة والبغض ويكون من هذا ايضًا ان خواطرهم تتجه عن غير شعورٍ منهم ليروا في كل صنيعٍ من صُنع الباري بهم متى استغلوا عنكم او خلفوكم في الدار الدنيا خيرًا وحكمةً فلا تعود تبطرهم النعمة فيستعلون ويطغون ولا تضجرهم المحنة فيذلون ويتنطون

هذه هي الظروف الخارجية المعنوية والمؤثرات الادبية التي ينبغي ان تفعل على نفوس بنيكم على حين لا يزالون تحت عنايتكم وارشادكم فان كانت ساءَ بيوتكم فيها مثل هذه المؤثرات الادبية تفعل دائمًا على نفوسهم اثناء نموّهم وتكاملهم اثرت فيهم خير اثرٍ وكيّفت مجهزاتهم لما يوافقها حتى اذا بلغوا رسخت مجهزاتهم على تلك الكيفية واصبح كائنًا كل ذلك فطريّ فيهم تحفظه الغاذية على حال اعتدالهِ وهندامهِ كما تحفظ كل عضوٍ من الهيكل البدني وتصير افعال الجهز في حكم البديهيّة تعتمد الادارة عليهِ عند الحاجة فيأبى مع السهولة امرها ويعصي داعي الشهوة اذا اراد بهِ ما يخالف ما اعتاد عليهِ

مؤثرات فينا غير ما ذُكر

بقي من الاحوال الخارجيّة ما يفعل على العقل رأسًا ويكيفهُ لما يلائم بدون تعليم او تهذيب خصوصي خلافًا للاحوال التي ذكرناها قبلاً وهو العرف العام او عوائد الاجتماع العمراني فان كل فرد من افراد المجتمع الانساني يولد في جوّ هذه العوائد فتفعل عليهِ اراد ام لم يرد وتؤثر فيهِ وفقًا لفعلها بما يكيّف مجهزهُ العصبي لما يلائمها فيستنبج ما يستقبحهُ القوم ويستحسن ما يستحسنونهُ ينام اذا ناموا ويقوم متى قاموا يشتغل اذا اشتغلوا ويرتاح متى ارتاحوا بل يعتقد بما يعتقدون ويكفر بما يكفرون لا يجسر ان يشنع عليها وان كانت شنيعة على ما يرى وهو في كل ذلك مضطر لا اختيار لهُ حسب الظاهر

ثمّ انهُ في جميع احوالهِ اذا خرج عن السنن المألوفة استوجب من غضب افراد المجتمع الانساني ومزيد حنقهم عليهِ وغضبهم على من خالف عوائدهم المألوفة يظهر تارةً بالقتل وأُخرى بالضرب والتعذيب وآونة بالنفي او السجن وأُخرى بالاحتقار والسخرية ومزيد التنفير غير

ان المجتمع الانساني وان يكن عاجزًا في اغلب الاحيان عن اصلاح شأن احد افرادهِ وتحسين حال معاشهِ واسباب رغدهِ ورفاههِ الاَّ انهُ مع السهولة يقوى على تنغيص عيشهِ وهذا اقل ما يكون منهم لمَن خالف عرفهم ومألوف عوائدهم وهذه العوائد يتلقاها الابن عن ابيهِ كما تلقاها هذا عن ابيهِ ايضًا ويلحظها كيفما التفتَ ويأبَى ماتوجه حاكمةً على مَن سواهُ من بني مجتمعهِ ولذلك لا يرَى بدًّا من تلقنها وقبولها كما يتلقَّن اللغة او شبهها لا يسأل عن كيفَ ولا عن لِمَ في جميعها ومع الايام يألف هذا كما ألفها مَن سواهُ ويصبح يجري على ما تقتضيهِ بداهةً في اعمالهِ وتصرُّفاتهِ وافكارهِ ايضًا

ولما كانت هذه العوائد الاجتماعيَّة كثيرةً متنوِّعة لا يميل العقل الى جهة الاَّ ويرى في تلك الجهة عادة تفعل على عقلهِ في متَّجههِ هذا فتؤثِّر فيهِ وتكيِّفهُ مع طول الايام والالفة لِمَا يلائمها اصبح من الصعب بل في كثير من المواضع من المتعذِّر علينا أنْ نميِّز بين اميالنا التي كيَّفها فينا العرف العام وبين الاميال التي هي من قنيَّات الجبلة وخصوصيات المزاج على انَّ تلك الخصوصيات هي في الراجح اميال كانت في السلف نشأت عن تأثير العوائد العامَّة فيهم وفي مَن تقدَّمهم بحيث رسخت تلك الآثار مع طول المدَّة واستحكمت في الجبلة فصارت تُتوارث . لكن كيف كان الحال فلا بدَّ من قنيات فينا وخصوصيات مزاج تؤثِّر في نهج سلوكنا وتصرُّفاتنا وفي كيفيَّة ائتلاف افكارنا مستقلَّةً عن العوائد العامَّة وآثار التهذيب العائلي . ولنا ما يؤنس منهُ على صحة هذا الامر من اختلاف نهج التصرفات والافكار بين اخوين ربيا وشبَّا في احوال تكاد تكون واحدة من جهة المؤثرات الخارجية وكيفية التربية والتهذيب ومع ذلك ترى احدهما حليمًا والآخر غضوبًا هذا ديِّنًا ورعًا وذاك فاسقًا فاجرًا هذا سامي المدارك رقيق الاحساسات وذاك بالعكس ما لا ترى جميعهُ اثرًا لاختلاف التربية وفعل العوائد العامَّة . ويعرف هذا حق المعرفة من عانى امر التهذيب واختبر حال التلامذة زمنًا طويلًا فان ما يشاهدهُ من اختلاف اخلاقهم وحاسياتهم الادبية وائتلاف افكارهم وسموّ مداركهم يسوقهُ الى الحكم وان لم يستطع ان يفصِّل في حكمهِ ويرتبهُ الى ان بعض هذا الاختلاف مما لا دخل فيهِ للتربية ولا لفعل الاحوال الخارجية بل مرجعهُ الى قنيَّات الخلق وخصوصيات في المزاج . واكثر ما يظهر ذلك ايضًا في المدارس الخيرية وملاجي البغايا فانهُ في الاولى كثيرًا ما يدخل اليها من التلامذة الصغيرون جدًّا في السن فيشبون تحت احوال متساوية لكن القنيات الخلقيَّة في النوى العاقلة والسجايا الادبية تظهر ظهورًا لا ينكرهُ الاَّ المكابر واما في ملاجي البغايا فاظهر من ذلك كثيرًا فان الاطفال يدخلون هذه الملاجي البعض ليوم ولادتهم والبعض ليوم او

لبعض ايام من ذلك يربون تحت عناية واحدة تشملهم جميعاً لا تفرق بين الواحد والآخر ولا تميز بعضهم عن بعض بفضل الولادة فاذا كبروا كانت احوال تربيتهم وظروفهم الخارجيّة التي تفعل على حواسهم وعقولهم معاً متساوية او تكاد تكون كذلك على حين ان البون عظيم بين اخلاقهم وقواهم العاقلة ومزاياهم الادبية وليس كل هذا البون مترتّب على اختلاف ظروفهم الخارجية فبقي انّ بعضهُ ناشيء عما للفتيّات الخلقية والخصوصيات المزاجية من الاثر في التصرّفات والافكار

(ستأتي البقية)

تصوير اللفظ العربي بحروف افرنسية

لجناب الياس بك عبده قدسي

احد قنصلوس دولة اليونان بدمشق

ان تصوير الفاظ لغةٍ بحروف لغةٍ أُخرى يصعب كثيرًا على الكاتبين لا سيّما اذا كانت احدى اللغتين من فرع والثانية من فرع آخر، فان التباين في الصوت واللفظ والتشديد والتخفيف وُجِد بلا شك منذ القدم بين المتكلمين بلغات مختلفة ولم يزل موجودًا الى يومنا هذا حتى بين المتكلمين باللغة الواحدة بل بين بلد وبلد وقريةٍ وأُخرى وحيٍّ وآخر من المدينة الواحدة وعلى ما يلوح لي هذا هو سبب تباعد الفروع وتكاثرها مع كونها راجعة الى اصولٍ قليلة فلو انتبه اول من نطق لتصوير نطقهِ لكان الجنس البشري الآن يتكلم لغة واحدة او لغاتٍ قليلة على افتراض ان اللغة الاصلية اكثر من واحدة

وبيان ذلك ان حرف A مثلاً له في اللغة اللاتينية صوت آ وفي اللغتين الافرنسية والانكليزية اللتين هما فرعان لها له في عدّة كلمات من اصل واحد صوت آ وصوت e وصوت ei وقس على ذلك حروفًا أُخرى في اللغتين . وهذا شأن الناطقين بالعربيّة فانهم قد يختلفون في لفظ الكلمة الواحدة بين تفخيم وترخيم واشمام وامالة كما لا يخفى

ولما اخذ درس اللغة العربية في هذا العصر محلاً عظيماً بين دروس العلماء الاوروبيين وكان يعسر على اولئك القوم ان يعبّروا عن الالفاظ العربية بالحروف الموجودة في لغاتهم فقد اصطلح كل منهم ان يعبر عنها بطريقة مخصوصة به وكانت اصطلاحاتهم مختلفة الى ان قام بينهم العلاّمة لآن Lane وجعل جدولاً يتقابل به كل حرف عربي مع ما يشابهه من